# إسهام المسندين الجزائريين في
# إحياء سُنَّة الرّواية عند المتأخّرين

د. **عز الدين كشنيط**
**دكتوراه أصول الدين من جامعة بغداد–العراق**
**أستاذ محاضر (أ) بالمركز الجامعي لتمنغست**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأبتدئ هذا البحث بما جرت به عادة أهل هذا الفنّ من تقديم حديث الرحمة المسلسل بالأولية، فأقول رُوِّينا بالسّند المتصل إلى النبي(ﷺ) أنّه قال: « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »[1]... وبعد

إنّ الحديث وعلومه من أجلّ علوم الإسلام وأشرفها، لتعلقها بثاني مصادر التشريع فيه، ولِكَوْن السُّنة بيان للكتاب، ووحيٌ ثانٍ بعد القرآن الكريم.

وقد قام بعبء تبليغه وخدمته ثلّة من خيار هذه الأمة ونجبائها، إذ كما خصّ الله تعالى هذه الأمة بكتاب عظيم، ونبي كريم، فقد خصّهما الله تعالى بفضله؛ فانتدب لها خدما من أسياد الرجال، فهذا يلزم نبيّه بشبع بطنه، وهذان يحملهما شديد الحرصِ على التناوب بين الغرس والدرس لئلاّ يفوتهما من العلم والحكمة فعل أو قول أوحال.

وممّا اختصّ به بعضهم دون بعض تتبُّع التنزيل بالاستظهار في الصدور، والتقييد في السّطور، وتطورت العناية بهذا الجانب من كلام النبي الكريم (ﷺ)، وانتشر التنافس فيها في الأمصار والأقطار، فكان لكل قوم طلائعهم، ومنتجبيهم، وقد كان للأمّة الجزائرية من ذلك الثلة المباركة، التي أبدت عناية فائقة بالسنّة النبوية في جانبيها المعروفين، وهما الرواية والدّراية، غير أنّ رواج بضاعة الفقهاء، وكساد سوق الحديث في مغربنا الكبير، قد أخفى ذكرهم، وهذا موضوع قصدت به إلقاء الضّوء على مظاهر ذلك الجانب المشرق الخفي من تاريخ الجزائر العلمي والثقافي، الذي نجهل عنه الكثير، على الرّغم من قربه الزّماني من أيّامنا هذه، وقد وسمته بعنوان ( إسهام المسندين الجزائريين في إحياء سنة الرّواية عند المتأخرين).

ورأيت أن أتناوله الموضوع من خلال عناوين؛ أتكلم فيها عن بعض ما يخصّ أهل الجزائر من إسهام في الحفاظ على السّنة المشرفة، مركّزا حديثي على جانب الرّواية؛ لعلمي بقلّة من يأبه بالبحث في هذا الجانب من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية عند المتأخرين، بحثا أو ممارسة؛ حتى قال علامة الهند ومسندها شاه وليّ الله الدّهلوي حينما

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت: ٤/ ٤٤٠.

أراد التأليف فيه:" **حداني على تأليفه احتياج أهل العصر إلى مثله، فإن هذا العلم صار في مثل عصرنا نسيا منسيا، وكاد أهل العصر بجهلهم بفضله يتّخذونه سخريا...**"(٢)

وأتبع ذلك بتوصيات موجزة عمّا أتمنّاه من فتح باب البحث في هذا الجانب المهمل من مظاهر نقل العلوم من هذا البلد المبارك أو إليه.

**أهمية الموضوع** – يستمد هذا الموضوع أهميّته من خلال أمور عدّة:

**أحدها –** كونه متعلقٌ بالكلام عن ثلّة من المسندين الجزائريين المغمورين، الذي أحيوا العناية بالسنة النبوية رواية ودراية، داخل بلدهم وخارجه، فحقّ علينا إحياء ذكرهم، وإفشاء سرّهم، والتعريف بفكرهم.

يقول الإمام النووي في مثل هذا المقام:" وهذا من مطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات التي ينبغي للفقيه والمتفقه معرفتها، ويقبح جهالتها؛ فإن شيوخ الرّجل آباؤه في الدين، ووصلة بينه وبين ربّ العالمين، وكيف لا يقبح جهل الإنسان بالوصلة بينه وبين ربّ الأرباب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وذكر مآثرهم والثناء عليهم، والشكر لهم."(٣)

وتلك سنّة قد حرِص عليها كثير من أكابر المحدثين كالحافظ ابن حجر وغيره، حيث يقول في فاتحته كتابه (المجمع المؤسس للمعجم المفهرس):" أما بعد.. فإنّ كثيرا من سلف المحدثين اعتنوا بجمع أسامي شيوخهم، وتدوين أخبار كبارهم، فتغايرت مقاصدهم في الترتيب، فرأيت أن أحذوَ حذوهم، وأسير تلوهم، لأتذكر عهدهم."(٤)

وذلك –أيضا– من باب العرفان لشيوخ التعليم ونقلة الميراث النبوي، وبعض الوفاء بحقوقهم؛ من خلال ذكرهم ومدحهم والتنويه بهم، والإعلاء من شأنهم، لأنّ أوّل أبوات تحصيل العلم والتوفيق إلى العمل محبتهم وتعظيمهم في النفوس؛ يقول التمنارتي في ذلك:"...فإنّ أولى الناس بالإحياء بالذكر من كان أصل سيادتك، وسبب سعادتك، ودليل رشدك وهدايتك، وأحقّ الناس بالشكر من دلّك على الله، وفتح لك باب رضى الله.."(٥)، ويزيد الشيخ إدريس المنجرة ذلك وضوحا فيقول في فهرسته:" فإنّي أريد بعون الله وتوفيقه أن أسطّر في هذه الفهرسة ذكر بعض أشياخي في التعليم والتربية،... لغرض معرفة السّند في الرّواية، والطريقة في العمل والسيرة، وشكرا ومكافأة لنشر الإحسان، لما ورد أنّ من أسديَ إليه معروفا فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره."(٦)

---

(٢) مقدمة كتاب الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، شاه ولي الله الدهلوي، تح: بدر بن علي بن طامي العتيبي، دار الآفاق، ط١/ ١٤٣٠-٢٠٠٩: ص٢٣.

(٣) مقدمة المفاخر السنية في الأسانيد العلية القدسية، عبد الحميد بن محمد علي قدس الخطيب (١٢٧٨- ١٣٣٤هـ)، نسخة مخطوطة موجودة بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم ٩٢ سيرة وتاريخ: الورقة الأولى/ أ. وقد تمّ تحقيقها من قبل د. رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، ونشرت في أحد أعداد (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة: ص٢٣٩. ولا أذكر العدد.

(٤) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ابن حجر العسقلاني، تح: د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت، ط١/ ١٤١٣-١٩٩٢: ١/٧٥-٧٦.

(٥) الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي، تح: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢/ ١٤٢٨-٢٠٠٧: ص٦١.

(٦) فهرسة إدريس المنجرة (ص١ مخطوط الخزانة العامة بالرباط: د ١٨٣٨ ضمن مجموع.) نقلا عن **الترغي؛ عبدالله المرابط ، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية ق١٢هـ: منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية، (أطروحة دكتوراه) في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي/ تطوان– المغرب الأقصى؛ ط١/ ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م**: ص٨٦.

**وثانيها –** أننا نعالج جانبا من تاريخ نقل العلوم في هذا القطر الحبيب، ومعرفة مسارب وصول العلوم التي نقلت إلينا؛ خصوصا وأنّ الفترة التي تناولها هذا البحث مرحلة حرجة في تاريخ الجزائر، وتاريخ الأمة الإسلامية، وفي تسليط الضوء عليها، وعلى أعلامها، بيان لمراكز النشاط الفكري والعلمي فيها، وكشفٌ عن بعض أسرار المقاومة التي حفظت لأهل هذا القطر حصانته، وأبقته منيعا عن مختلف محاولات المسخ التي سلطت عليه طوال قرن وربع قرن.

وقد تُنْبِئُنا أيضا ببعض ما يمكن أن يكون السبب في تدهور حال أسلافنا، وتمكن أعدائهم منهم؛ كانشغالهم بالخلافيات، والتعصّب للمذاهب، والغلوّ في إحسان الظنّ بمقالات من يظن فيه الصلاح، وغير ذلك.

**وثالثها –** أنّنا نتكلّم في هذا الموضوع عن باقة من كتب توثيق الرواية، التي تحسب في رصيد هذا البلد العزيز.

ولا يخفى على المهتمين بالتاريخ للثقافة والعلوم ما تضمره بطون هذه الكتب من مواد خام، ومعلومات وتراجم نادرة، تمكّن من تشكيل صورة واضحة لكثير من مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والروحية والبرامج التعليمية، وغير ذلك مما يعوز المؤرخ؛ فهي مصدر مهمّ للمؤرخين والجغرافيين والمحدّثين، وهي الوصف الصادق لكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية.(٧)

يقول د. محمد بن عزوز في أهمية هذا الضرب من التصنيف:" والفهرسة لها أهمّية بالغة وفائدة عظيمة في حفظ نموذج تاريخي مهمّ عن حياة الشيخ العلمية، وذلك فيما يتجلى إخبارا عن حلقاته العلمية، ووفيات من تلقى عنهم العلم، وتواريخهم، والدروس التي كانوا يأخذونها، والكتب المعتمدة لديه، إضافة إلى الأسانيد والمرويات، وسرد الأحداث الواقعية، والخرافية أحيانا، والرّحلات العلمية وغيرها من الفوائد الجمّة التي تترجم واقعا ملموسا لحياة الشيخ، فهي من المصادر الغنية التي لا يستغني عنها طالب علم.

لهذه المزيّة اهتمّ بها العلماء كثيرا وجعلوها أكثر ترويجا، فقلما تجد شيخا إلا وله فهرسة، أو ثبتا، أو برنامجا يسجّل فيه تراثه العلمي."(٨)

(٧) ينظر فهرسة محمد بن الحسن الحجوي المسماة مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(ت١٣٧٦هـ)، تحقيق د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم/ بيروت ومركز التراث الثقافي المغربي/ الدار البيضاء، ط١/ ١٤٢٤-٢٠٠٣: ص٨.

(٨) محمد بن عزوز ، مقدمة تحقيق الفهرسة الصغرى والكبرى لأبي عبد الله محمد التاودي بن سودة : ص٣٨.

**أولا – فنّ الرّواية، واختصاص الأمة الإسلامية بخصيصة الإسناد.**

الرّواية في اللغة نقل الكلام إلى شخص آخر وحمله إليه، واصطلاحا: نقل الحديث وإسناده إلى من عُزي إليه بإحدى صيغ الأداء، مثل حدثنا، أو أخبرنا، أو سمعت، أو عن ... (٩)

وهو فنّ تناثرت مباحثه المختلفة في كتب علوم الحديث ومصطلحه، وقد رأى د.حمزة الميليباري أنّه يتضمّن مسائل (طريق تحمل الحديث، وكتابة الحديث، وضبط الكتاب، ورواية الحديث وشروطها، ومعرفة آداب المحدث، ومعرفة آداب طالب الحديث، ومعرفة علو الإسناد ونزوله.)(١٠)

وهذا الفنّ خبيئة إلهية اختصّ الله تعالى بها الأمة الإسلامية، لأنّ رسالتها رسالة خاتمة؛ إذْ لما كتب الله تعالى لدين هذه الأمة أن يُحفظ؛ يسّر لذلك أسبابه، فهدى علماء هذه الأمّة إلى ابتكار منهج فريد في نقل قرآنها، وسنّة نبيها(ﷺ)، وتعاليم دينها، وتراثها.

وإنّ العلماء حينما رأوا أنّ دينهم لا يسلم لهم إلا بنقول صحيحة، وفهوم صريحة، صرفوا ثمين أوقاتهم إلى العناية بالجانبين؛ فتأسس لهم من ذلك فني الرّواية والدّراية.

وإنّي لأرى في تلك الدقة البالغة وذلك المنهج المبتكر مظهرا إعجازيا يبين بعض (الأسرار الكيفية) للحفظ الإلهي لوحيه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر٩].

غير أنّ هذا الفنّ قد وقع الإعراض عنه عند كثير من المتأخرين، لكونه –على رأيهم– قد استنفد أغراضه، ومن رقّ له منهم ذكر أنّ استبقاءه من باب الحفاظ على بركة الإسناد، والمحافظة على سنّة الاتصال فقط، غير أنّني رأيت له – بعد الاطلاع على كثير من دواوين المتأخرين في هذا الفنّ– فوائد أخرى كثيرة تجنيها الأمة من محافظتها على هذا التقليد العلمي العريق؛ بعضها تربوي، وبعضها الآخر علميّ بحت، ولا يتسع المقام لذكر ذلك كلّه، وأكتفي منه بالإشارة إلى الفوائد التاريخية العظيمة التي تحملها كثير من كتب توثيق الرواية عند المتأخرين، وأشهرها فهرسة ابن خير الإشبيلي، والمعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني، وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني.

**ثانيا – حظ الجزائر من علماء هذه الصنعة.**

لا يسعفني المقام استقصاء جميع من كانت له رواية من أعلام القطر الجزائري، ولا غالبهم؛ لأنّ ذلك يتطلب عملية جرد دقيقة لعشرات من كتب توثيق الرّواية عند المتأخرين، لكنني سأكتفي بإيراد قائمة ممن ذكره الكتاني من الجزائريين في فهرسه، ثمّ أنتقي منهم بعض النماذج البارزة في هذه الصناعة، مبرزا فيها بعض مظاهر التميز في خدمة السنّة النبوية الشريفة رواية ودراية.

**١ – بعض مشاهير المسندين من أهل الجزائر**: تكلّم الشيخ عبد الحيّ الكتاني عن كثيرين ممن أخذ عنهم من الأقاليم الإسلامية المختلفة، فذكر فيهم ثلّة من الجزائريين، وهذه قائمة بأسماء من ذكر في مقدمة فهرسه، على النحو المبين في الجدول رقم (٠١)، أضفت إليها آخرين ممن نسبهم الكتاني إلى بلاد أخرى:

---

(٩) ينظر معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين في ص٦٧–٦٨.

(١٠) ينظر الميليباري، حمزة، عُلوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد: ص٧.

**الجدول رقم (٠١)**

| قائمة بمشاهير المسندين من أهل الجزائر | | | |
|---|---|---|---|
| أحمد بن عمار | عبدالرحمن الثعالبي | أحمد بن قاسم البوني | أبو الفضل بن الإمام |
| ابن جعدون | مصطفى الحرار | محمد بن مرزوق الحفيد | محمد بن عبدالجليل |
| الندرومي | حمودة المقايسي | محمد بن عليّ الصنهاجي | محمد المقري الكبير |
| الغبريني | بن علي الزواوي | محمد بن علي السنوسي | محمد بن مرزوق الجد |
| ابن العنابي | العباس بن صالح | أبو عبدالله بن العباس التلمساني | أبو رأس الناصري |
| ابن حواء | يحيى الشاوي | محمد بن محمد الديسي | ابن مرزوق الكفيف |
| ابن قنفذ | سقط المشرفي | محمدبن محمدبن أبي القاسم البوسعادي | محمد سعيد الزواوي |
| المنورالمغيلي | الطاهر المشرفي | محمد بن المبارك الجزائري الدمشقي | ابن هارون المطغري |
| السنوسي | الهادي الشريف | عبد القادر بن محمد بن الأمين | |
| أبو طالب | شقرون المغراوي | محمد بن عبدالرحمن التجيبي | |
| أحمد المقري | عيسى الثعالبي | علي بن أحمدبن موسى | |

مع التنبيه على أنّ الكتاني لم يذكر كثيرا من جزائريي المهجر في قائمته؛ كأبي مهدي عيسى الثعالبي المجاور بمكة، وابن العنابي محمد بن محمود الذي استوطن الإسكندرية، ويحيى الشاوي دفين مصر وغيرهم، ولم يذكر مسندي بلاد التوات، وما جاورها ومن الحواضر العلمية، وقد وزّع الكتاني بعضهم على مدن الجزائر وقراها، على النحو المبين في الجدول رقم (٠٢): (١١)

**الجدول رقم (٠٢)**

| توزيع بعض المسندين الذين ذكرهم الكتاني على بعض مدن الجزائر | |
|---|---|
| الجزائر العاصمة | أحمد بن عمار – أحمد بن قاسم البوني – عبد الرحمن الثعالبي – ابن جعدون – مصطفى الحرار – حمودة المقايسي — الندرومي — الغبريني – محمد سعيد الزواوي – الشيخ بن علي الزواوي، وغيرهم. |
| تلمسان | ابن هارون المطغري – أبو عبدالله بن العباس التلمساني – أبو الفضل بن الإمام. محمد بن عبد الرحمن النجيبي – محمد بن عبد الجليل – الشيخ أحمد المقري – محمد المقري الكبير – محمد بن مرزوق الجد – محمد بن مرزوق الحفيد – ابن مرزوق الكفيف – المنور المغيلي – الشيخ السنوسي – وغيرهم. |
| قسنطينة | العباس بن صالح – ابن قنفذ – الهادي الشريف، وغيرهم. |

(١١) ينظر المرجع السابق: (١/٣٥-٣٦).

| | |
|---|---|
| معسكر | الطاهر المشرفي – أبو رأس الناصري– سقط المشرفي، وغيرهم. |
| قلعة بني حماد | محمد بن عليّ الصنهاجي. |
| وهران | شقرون المغراوي وغيرهم. |
| مستغانم | ابن حواء وغيره. |
| مازونة | الشيخ أبو طالب. |

ومن المدن الجزائرية التي ذكر لها الكتاني –أيضا– حظوة ببعض المسندين:".. البليدة والمدية وبوسعادة وبرج بوعريريج."(١٢)

**٢– أبو مهدي عيسى الثعالبي أنموذج نوعيٌّ من المسندين الجزائريين المتأخرين:**

أحببت أن أنتقي من بين جميع مَنْ ذكرت آنفا أنموذجا نوعيا من المشتغلين بفنون الحديث رواية ودراية، وغيره كثيرون، لا يتّسع المقام لذكرهم، وقد بلغوا في هذا الأمر شأوا دفع بعض العلماء إلى الغلوّ فيهم وتلقيب بعضهم بـ(الحافظ)، ذكر ذلك في ترجمة بعض المتأخرين للشيخ أبي راس الناصري، وأبي مهدي الثعالبي، والمقري وغيرهم، ولست هنا بصدد مناقشة حدّ الحافظ وشروطه، فإنّ الزمان لا يزال ينقص، وعرى الدين تنحلّ عروة عروة، لذلك فإنّ تلقيب بعض المتأخرين بمثل هذه الألفاظ يومئ إلى عظيم قدر صاحب اللقب بين معاصريه، ولا مجال للمقارنة بينهم وبين المتقدمين، ممن نُحِل هذه الصّفة؛ وهذا أنموذج نوعيّ ممن اشتغل بهذه الصنعة، وبرز فيها وتميّز حتى قال فيه تلميذه أبو سالم العياشي:

إذا ما أَتَتْكَ النَّائِبَاتُ فَغَالِبِ *** بِفَحْرِ فُحُولِ العِلْمِ عِيسَى الثَعَالِبِي

**أبو مهدي عيسى الثعالبي**(ت١٠٨٠هـ): هو عيسى بن محمد؛ أبو مهدي الثعالبي الجزائري، ثم المكي، المالكي، الأثري، والثعالبي نسبة إلى وطن الثعالبة من عمالة الجزائر العاصمة، وعشيرته ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب، جزائري الأصل، مكيّ الهجرة والمدفن، مات بها سنة ١٠٨٠هـ.

قال الكتاني:" هو مسند الحجاز والمغرب، والنادرة الفذّ، الذي كان حاله عن قوة العارضة واتساع الرواية يعرب، بحيث لا يعلم في ذلك العصر أعلم منه بهذا الشأن، ولا أكثر اطلاعاً ولا أتقن معرفة، مع التوسع في العلوم الأخرى، والدين المتين، والتصوّن والرفعة"(١٣)، وقد حُلّي بـ "خاتمة الحفاظ"(١٤)، وقال فيه الزبادي في رحلته:" هو مسند الدنيا في زمانه".(١٥)

(١٢) المرجع السابق: (٥٨/١) ؛ ذكر ذلك في سياق تعداده لمن روى عنه من أهل الآفاق.

(١٣) ينظر المرجع السابق: (٨٠٦/٢-٨٠٧)

(١٤) حلاه بذلك صاحب (المشرع الروي)؛ ينظر المرجع السابق: (٨٠٧/٢)

(١٥)المرجع السابق: (٨٠٧/٢).

وقال عنه تلميذه ورفيقه في بعض أسفاره أبو سالم العياشي صاحب الرحلة المطبوعة:" عكف في آخر أمره على سماع الحديث وإسماعه، فجمع من الطرق العوالي، والأسانيد الغريبة، والفوائد العجيبة، ما لم يجمع غيره، وكتب الكثير، وسمع وأسمع من المسانيد والمعاجم والأجزاء ما لم يتفق لغيره مثل ذلك ولا قريب منه لأهل عصره."(١٦)

وذكر عنه أيضا أنه:" قرأ من الأجزاء الحديثية والمسانيد الغريبة ما صار به فرد وقته في رواية الحديث، وأُعْطِيَ القبول التام عند المشايخ وأصحابهم؛ بحيث لا يبخلون عليه بشيء، ولا يضجرون منه عند إرادة سماع، وقد أخبرني أن شيخنا الأجهوري –مع أخذ الكبر منه غايته وضجره من طنين الذباب في أغلب الأوقات– كان إذا دخل عليه يبتدئه قبل أن يطلب منه السماع، فيقول له: شنف الأسماعَ؛ علماً منه أنه لا يأتي إلاّ لسماع حديث أو رواية غريبة، وما دخل على أحد قطّ من المشايخ فيخرج إلاّ بفائدة له وللحاضرين، ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم لم يبعد، لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرّواية، وهم يستفيدون منه في درايته، وتحقيق معانيه."(١٧)

قال العياشي:" وقد أخبرني [أي: الثعالبي] أن الشيخ البابلي كان يقول له: ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقّري، ولا أذكر منك؛ فأقول له: يا سيدي إنما تقول ذلك لإنصافك."(١٨)

وقال العياشي:" لما استقرّ بمكة واستوطنها تفرّغ لنشر ما جمع، ونشر ما كتب، وإقراء ما قرأ، ولإسماع ما سمع، وجمع من عوالي السند وغرائب المسلسلات ونوادر التواريخ ما تقاصر عن أدناه همم أهل زمانه، وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز فاستخرج منها غرائب المصنفات، وقيّد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث وما فوق ذلك إلى العشاريات، من كثير من المصنفات أعلى ما فيها، وضبط من الأسماء والأنساب ما قلَّ أن يوجد عند غيره، وأظهر من طرق الرواية ما كان خفياً، وبالجملة فهو نادرة الوقت، ومسند الزمان."(١٩)

وعلّق العياشي على ذلك فقال:" ولما علمت أنّي وإن اجتهدت فوق طاقتي، وطفت ما عسى أن أطوف على المشايخ لا يمكنني أن أجمع ما جمع، ولا أن أحصّل من النفائس ما حصّل، رأيت أنه قد كفاني المئونة، وأن الله قد جمع له ما كان مفرقاً: فرأيت كلَّ العالمين كأنما *** ردَّ الإلهُ نفوسَهُمْ والأعصُرا..."(٢٠)

وقال أبو سالم في وصفه أيضاً في الخطبة التي جعلها لكتابه (كنز الرواية):"...المبعوث في آخر الزمان لتجديد معالم الإيمان، المرجوّ من الله حياته في عافية إلى رأس المائة الآتية، ليكون من خير فئة، المجددين في كل مائة، فيحسن أن يقتبس له بالإشارة، على سبيل البشارة، من صريح العبارة، في قول خير من ركب العيس: لا مهديّ إلاّ عيسى."(٢١)

---

(١٦)المرجع السابق: (٢/٨٠٧).

(١٧) المرجع السابق: (٢/٨٠٧).

(١٨) المرجع السابق: (٢/٨٠٧).

(١٩) المرجع السابق: (٢/٨٠٧-٨٠٨).

(٢٠) المرجع السابق: (٢/٨٠٨)

(٢١) المرجع السابق (٢/٨٠٨).

ولكلام العياشي هذا اعتباره التاريخي وقيمته العلمية؛ إذا نظرنا إلى أنّه كان من تلاميذ الثعالبي، الذين خالطوه ولازموه مدّة، وهو أيضا من أقطاب الرّواية، وممن وُصِف بأنّه:" أحد من أحيا الله بهم طريق الرّواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدّد من فنون الأثر كلَّ رسم محيل."[٢٢]

ولعظيم دراية الثعالبي في فنون الرّواية؛ التمس منه جمعٌ من جلّة معاصريه من أكابر المسندين بتخريج ثَبَتٍ لشيخهم وشيخه؛ الحافظ المصري شمس الدين البابلي المشهور، فأجابهم إلى تخريج كتاب أسماه (منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد)، جمع له فيه أسانيده، وقد بذل فيه الوسع حتى ذكروا أنّه لما وقف عليه الشمس البابلي قال:" جزاه الله خيراً، قد عرّفنا بأسانيدنا التي كنّا لا نعرفها."[٢٣] وقد كان هذا الكتاب عمدة من أخذ عن البابلي، والبابلي من أهمّ وسائط المسندين المتأخرين؛ لجمعه العلوّ المطلوب بين الرواية والدراية، قال الشاه ولي الله الدهلوي في ثبته الإرشاد:" أما البابلي فأجازني بجميع ما في منتخب الأسانيد –الذي جمعه الشيخ عيسى له– شيخنا الثقة الأمين أبو طاهر الكردي عن أبيه وعن العجيمي والبصري والنخلي كلهم عن البابلي."[٢٤]

وقد جعل محدث المدينة المنورة ومسندها الشيخ فالح الظاهري وجود من أسماهم **مسانيد الحجاز السبعة** سببا في تقوّي علم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة، وجعل أوّلهم أبا مهدي الثعالبي.[٢٥]

**حفاوة العلماء بالرواية عن الثعالبي:**

احتفى جمع كبير من أكابر زمان الثعالبي بالرّواية عنه، والاتصال به، نذكر **منهم**:

محمد تاج الدين بن القاضي عبد المحسن **القلعي** الحنفي المكي الطائي قاضي مكة، وصاحب الأوائل المعروفة باسمه.[٢٦] ولا تزال أوائله تلقى رواجا وتقرأ إلى يومنا هذا لدى المتخصصين بهذا الفنّ.

**ومنهم** البرهان إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين **الكوراني** ثم المدني(ت١١٠١هـ)، صاحب الثبت الشهير (الأمم لإيقاظ الهمم)، ومسند القرن الحادي عشر وعلامته.[٢٧]

**ومنهم** أبو سالم **العياشي**(١٠٣٧– ١٠٩٠هـ) علامة المغرب، وصاحب الرحلة المشهورة (ماء الموائد)، و(إتحاف الأخلاء بأسانيد الأجلاء)، وغيرهما، وقد شغل بأخبار الثعالبي ومروياته قسطا وافرا من رحلته.[٢٨]

**ومنهم** عبد الله بن سالم **البصري** أصلاً المكي إقامة(١٠٥٠–١١٣٤هـ)، مسند الحجاز، وصاحب (الإمداد بمعرفة علو الإسناد).[٢٩]

---

(٢٢) المرجع السابق: (٨٣٣/٢)، نقلا عن اليفراني.

(٢٣) ينظر المرجع السابق: (٥٨٩/٢).

(٢٤) ينظر المرجع السابق: (٥٨٩/٢).

(٢٥) مقدمة (أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، أبو اليسر فالح المهنوي الظاهري: ص٩، دارا الشريف. (د.ت)

(٢٦) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط١٤٠٦–١٩٨٦: (٩٦/١).

(٢٧) ينظر المرجع السابق: (١٦٦/١).

(٢٨) ينظر المرجع السابق: (١٦٨/١).

(٢٩) ينظر المرجع السابق: (١٩٣/١).

**ومنهم** حسن بن عليّ **العجيمي** المكي؛ أبو الأسرار، صاحب (إهداء التهاني).[٣٠]

**ومنهم** أحمد **النخلي**، أبو العباس أحمد بن محمد(ت١١٣٠هـ)، صاحب (بغية الطالبين لبيان الأشياخ المحققين المدققين).

**ومنهم** محمد بن سليمان **الروداني** ثم المكي(١٠٣٧- ١٠٩٤)، الإمام المحدث المسند الرحال؛ صاحب (صلة الخلف بموصول السلف).[٣١]

**٣- جزائريون في سلاسل إسنادية مشتهرة:**

**أ- جزائريون مدار أسانيد لأثبات وفهارس مشتهرة:** من ذلك فهرسة محمد بن سليمان الروداني، التي أسماها (صلة الخلف بموصول السلف)، وهي من أشهر تصانيف المتأخرين في كتب توثيق الرواية،[٣٢] قال فيها الكتاني:" وفهرسته (صلة الخلف بموصول السلف) نادرة في بابها جودة واختياراً وترتيباً، ليس في فهارس أهل ذلك القرن الحادي عشر بالمشرق والمغرب ما يشابهها أو يقاربها؛ عدا كنز أبي مهدي الثعالبي، فأنه أجمع وأوسع، وبالجملة فنفَسُه فيها نَفَسُ المتقدّمين."[٣٣]

وقد اعتمد الرّوداني فيها اعتمادا كبيرا على سلسلة رواة من أعلام الجزائر، وهي سلسلة شيخه أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري المشتهر بـ (سعيد قدورة) الموصلة إلى العلامة المسند ابن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي، ليتمكّن الروداني مِنْ خلالها مِنْ رواية غالب دواوين الإسلام، المروية بالقراءة أو بالسماع أو بالإجازة.[٣٤]

**ب- جزائريون في أسانيد المسلسل بالأولية:** وهو حديث مهم لدى أهل هذا الفنّ، وهو أوّل حديث يرويه الراوية أو يثبته في كتابه؛ حفاظا على استمرار اتّصافه بشرط الأولية؛ أوليةً حقيقيةً، ليوصله كذلك إلى سفيان بن عيينة، لذلك يثبته جميع من يذكره في صدر كتابه، ويقدّمه على باقي مروياته الحديثية في فهرسته أو ثبته أو معجمه.[٣٥]

اعتمد محمد بن سليمان الرّوداني على سلسلة من أعلام الجزائر، في سياقه حديث الرحمة المسلسل بالأولية قال:"ولنقدّم أمامها ذكر سند حديث الرحمة المسلسل بالأولية إلى ابن عيينة، حدثنا به شيخنا أبو عثمان الجزايري- وهو أوّل حديثه أسمعني إياه من لفظه- قال مسلسلا له: حدّثنا به أبو عثمان سيدي سعيد المقري، عن وليّ الله تعالى

---

(٣٠) ينظر المرجع السابق: (٢٠٩/١).

(٣١) ينظر المرجع السابق: (٤٢٦/١).

(٣٢) ذكروا أنّها ثاني فهرسين عظيمين في القرون الأخيرة، ينظر تقديم د.محمد حجي لكتابه صلة الخلف: (ص٥).

(٣٣) فهرس الكتاني: (٤٢٦/١)؛ ذكر ذلك في سياق ترجمته لمؤلفها.

(٣٤) ينظر أول كلام الروداني في مقدمته لكتابه صلة الخلف: (ص٢١) وما بعدها. (صلة الخلف بموصول السلف، محمد بن سليمان الروداني، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط١/١٤٠٨-١٩٨٨)

(٣٥) ينظر -مثلا- أوّل حديث في معجم شيوخ الذهبي ص١٣-١٤، تح: روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١/ ١٤١٠-١٩٩٠.

أبي العباس أحمد حجي الوهراني، عن شيخ الطريقة إبراهيم التازي[ثمّ الوهراني]، عن أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني..."[٣٦] إلى آخر السند.

**ج- التسلسل بالجزائريين:** المسلسلات هي الروايات والأسانيد التي وردت على صفات مخصوصة، جرت عادة علماء الرّواية ملاحظتها في أسانيدهم، والإشارة إليها؛ وبعضها متعلّق بانتماء غالب مَنْ في السلسلة إلى البلد الواحد؛ كالمسلسل بالدمشقيين، أو بالمكيين، أو بالمدنيين، أو بالعراقيين، أو بالمصريين، ... ومن بديع فوائدها؛ التعريف بأبرز رواة بلد معيّن في مختلف الطبقات، وعرفة حملة العلم فيه عبر التاريخ، والتواصل العلمي بين الأجيال المتعاقبة فيه، والعوائل العلمية، وغيرها من الفوائد.

**المسلسل بالجزائريين** : فمما يُذكر لأهل الجزائر في ذلك ما أورده الكتاني في فهرسه، في ترجمة شيخ الجزائر ومفسرها ومسندها سيدي العلامة عبد الرحمن الثعالبي؛ قال[الكتاني]:" أروي كل ما له بإسنادنا المسلسل بالجزائريين إلى الشهاب أحمد بن قاسم البوني **عن** أبيه **عن** أبي مهدي عيسى الثعالبي **عن** أبي محمد عبدالكريم الفكّون القسمطيني **عن** العلاّمة أبي زكرياء يحي بن سليمان الأوراسي القسمطيني **عن** أبي القدس طاهر بن زيان الزواوي القسمطيني **عن** الإمام أبي العباس أحمد زروق **عنه**، ويروي الفكّون **عن** الأوراسي المذكور **عن** أبي القدس ابن زيان **عن** أبي محمد عبد العزيز بن غانم الصحراوي **عن** أبي مهدي عيسى بن أحمد بن يوسف المليكّش **عن** الثعالبي."[٣٧]

**المسلسل بالقسنطينيين** : ومما يذكر من ذلك لأهل قسنطينة ما أورده الكتاني - أيضا- في ترجمة الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم البوني(١٠٦٣-١١٣٩هـ)، قال:" وقد وقفت على إجازة المترجم أحمد بن قاسم المذكور العامة لولده أحمد الملقب زروق ورفيقه محمد بن عليّ السعيدي الجعفري - نسبة إلى الجعافرة عرب بناحية قسمطينة - المعروف بمفتي قسمطينة، وهي في نحو أربع كراريس، اشتملت على فوائد وغرائب، عدّد فيها شيوخه، وأسانيد السّتة، وبعض المصنفات المتداولة في العلوم؛ أتمها سنة ١١٣٦، وقد أجازني بها المسند الناسك أبو محمد عبد القادر ابن محمد بن عبد الرحمن بن الأمين الجزائري **عن** مصطفى بن أحمد بن سادات القسمطيني **عن** السيد محمد المكي بن الشيخ سعد البوطالبي مفتي قسمطينة وقاضيها، **عن** السيد عبد الملك الراشدي **عن** عمه شيخ الجماعة بقسمطينة وقاضيها السيد عبد القادر بن محمد الراشدي، **عن** أحد المجازين بهذه الفهرسة السيد محمد بن عليّ الجعفري المذكور، قلت[الكتاني]: وهذا *إسناد عجيب مسلسل بالقسمطينيين إلى المترجم*، وهو **عن** أبيه ..."[٣٨]

قال الكتاني:" ويروي الشهاب البوني **عن** أبيه عامة، وهو يروي عامة **عن** أبي الحسن عليّ الأجهوري، .. **وعن** أبي مهدي عيسى الثعالبي وغيره."[٣٩]

---

(٣٦) صلة الخلف: (ص٣١).

(٣٧) فهرس الكتاني: (٢/٧٣٣).

(٣٨) المرجع السابق: (١/٢٣٩).

(٣٩) المرجع السابق: (١/٢٣٧).

وتكلم الكتاني عن سنده بكنز الثعالبي – أيضا– فقال:" ونتصل به مسلسلاً بالجزائريين القسمطينيين **عن** عبدالقادر بن الأمين الجزائري **عن** مصطفى بن سادات القسمطيني **عن** المكي بن سعد البوطالبي **عن** عبدالملك الراشدي **عن** عمه عبد القادر الراشدي **عن** محمد بن عليّ الجعفري **عن** أحمد بن قاسم البوني **عن** أبيه **عن** أبي مهدي الثعالبي المذكور بأسانيده."(٤٠)

وقد علّق الكتاني على هذا الإسناد فقال:" وهو مع نزوله عالٍ بتسلسله، وعِظَم مقام معظم رجاله."(٤١) وذلك من فقهه وإنصافه.

**ثالثا – جوانب من آثارهم في المحافظة على فنّ الرّواية عند المتأخرين.**

**أ– العناية باتصال أسانيدهم بصحيح البخاري:** أبدى علماء الجزائر عناية تامّة في نقل صحيح البخاري، ورسّخوا في ذلك تقاليد عريقة، عقدوا فيها مجالس خاصّة في جوامع مخصوصة (أشهرها الجوامع الثلاثة في الجزائر العاصمة)، تُعنى برواية صحيح البخاري، ورُتّب للمشتغلين بذلك راتبا، وقد أطلق عليهم لقب **(ناس الحضور)**، وقد استمرّ هذا التقليد أيام الاحتلال الفرنسي، وقد ألقى علامة الجزائر محمد بن أبي شنب، بحثا خاصا بهذا الموضوع؛ ألقاه في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٠٥ بالجزائر، ذكر فيه استمرار ذلك التقليد؛ وأنّ الحكومة في تلك الأيام كانت تعين أناسا في مدينة الجزائر، مكلفين بقراءة صحيح البخاري، في أوقات معلومة، وفي الجوامع الرئيسية لمدينة الجزائر: ويعرف هؤلاء الموظفون بـ(ناس الحضور)، ويشترط فيهم أن يكونوا من حملة الأسانيد المتصلة بالبخاري.(٤٢) وهذه مجموعة سلاسل أسانيد أوصلت صحيح البخاري لأهالي مدينة الجزائر، ذكرها بن شنب في بحثه المذكور، كما يظهر في الشكل البياني رقم(٠٣)(٤٣):

---

(٤٠) المرجع السابق: (٥٠٢/١-٥٠٣)

(٤١) المرجع السابق: (٥٠٢/١)

(*) تحمل بعض أسانيد المتأخرين بعض الغرائب؛ كالرواية عن الجنّ، والمعميرين تعميرا خارجا عن المعتاد، وقد تناولها بعض العلماء بالمناقشة والتحليل في مؤلفات مفردة، ولا يتسع المقام لبسط الحديث فيها.

(٤٢) ينظر بحث ابن شنب (حول توصيل صحيح البخاري إلى سكان مدينة الجزائر)، ضمن أعمال المستشرقين عام ١٩٠٥: ص١٠٥.

(٤٣) قد أرجأت دراستها والتعليق عليها إلى مؤلف مستقل سيخرج قريبا بإذن الله تعالى.

## الشكل البياني رقم (٠٣)

| السلسلة الأولى | السلسلة الثانية | السلسلة الثالثة | السلسلة الرابعة |
|---|---|---|---|
| ( البخـــــــاري ) | ( البخـــــــاري ) | ( البخـــــــاري ) | ( البخـــــــاري ) |
| ٢٤- الفربري<br>٢٣- السرخسي<br>٢٢- أبو ذر الهروي<br>٢١- أبوعبدالله محمد بن منصور القيسي<br>٢٠- أبو الحسن بن محمد الرعيلي (أو الرعيني)<br>١٩- أبوبكرمحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن الفراج<br>١٨- أبومروان محمد بن أحمد بن عبد المالك اللخمي الإشبيلي<br>١٧- أبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم<br>١٦- الحسن بن سليمان القرطبي<br>١٥- أبوعبدالله الرايقلي<br>١٤- والد المذكور آنفا<br>١٣- والد المذكور آنفا<br>١٢- أبوعبدالله محمد بن أحمد السرّاج<br>١١- ابن غازي<br>١٠- علي بن هارون<br>٩- سعيد المقّري<br>٨- محمد المقّري<br>٧- عمار بن عبدالرحمن<br>٦- سيدي الهادي<br>٥- محمد بن سيدي هادي<br>٤- أحمد بن عمار<br>٣- محمد بن الحفاف<br>٢- عبدالرحمن بن محمد بن الحفاف<br>١- علي بن عبدالرحمن بن محمد بن الحفاف | ١٧- أبو النصر<br>١٦- البرادعي<br>١٥- ابن أخت الوراق<br>١٤- الوراق<br>١٣- الإمام الفخار<br>١٢- أبو سعيد فرج<br>١١- أبو جمعة<br>١٠- ابن مرزوق الحفيد<br>٩- ابن الإمام<br>٨- ابن الحوضي<br>٧- ابن الإمام<br>٦– محمد بن الحاج اليبدري<br>٥- أحمد بن ثابت<br>٤- بن عبدالرحمن<br>٣- محمد بن سعد التلمساني<br>٢- العربي بن علي المشرفي<br>١- علي العمّالي | ١١- الفربري<br>١٠- يحيى بن عمار الختلاني<br>٩- محمد بن شاذبخت الفرغاني<br>٨- بابا يوسف الهروي<br>٧- أبو الفتوح الطاووسي<br>٦- قطب الدين النهرواني<br>٥- أبو الوفا أحمد بن محمد<br>٤- ابن عجيل اليمني<br>٣- محمدبن سنّة الأزهري<br>٢- عمر بن عبد الكريم المكي<br>١- محمد صالح الرِّضوي البخاري | ٣- شمهورش قاضي الجنّ(*)<br>٢- عمر بن عبد الكريم المكي<br>١- محمد صالح الرضوي |
| إلى أهالي مدينة الجزائر | | | |

**ب– السعي إلى الجمع بين الرِّواية والدراية في التحمّل والأداء:**

ومن النماذج الغريبة في ذلك ما يذكره الكتاني عن نادرة الجزائر أبي مهدي الثعالبي، في سياق سند الكتاني في رواية ما للدلائي، قال:" نروي ما للدلائي المترجم من طريق أبي مهدي الثعالبي صاحب (كنز الرواية) وهو عن شيخه وعمدته الإمام المحدث العلامة أبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي [الجزائري] عن المترجم[أي الدلائي]، إجازة منه له بكل ما له بعد أن لازمه ٢٣ سنة، أخذ عنه فيها صحيح البخاري نحو ١١ مرة، قال الثعالبي: كلها قراءة بحث وتحقيق وكشف وتدقيق، جلها سماعاً من لفظه مع شروحه وحواشيه لابن حجر والكرماني

والقسطلاني وزكرياء والسيوطي والدماميني والزركشي والمشارق لعياض والاستيعاب ومسلم وشروحه والشفا وشروحها وغير ذلك."[٤٤]

وهي سمة مميزة في أسانيد الجزائريين؛ فهذا الشيخ عبد الحيّ الكتاني يعلّق على الإسناد الذي أورده مسلسلا بالقسنطينيين بقوله:" وهو مع نزوله عال بتسلسله، وعِظَم مقام معظم رجاله."[٤٥] وهو العلوّ المعتبر عند المحققين من أهل علوم المصطلح.

وهذا العياشي يقول في شيخه أبي مهدي الثعالبي:" وما دخل على أحد قط من المشايخ فيخرج إلاّ بفائدة له وللحاضرين، ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم لم يبعد، لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرّواية، **وهم يستفيدون منه في درايته وتحقيق معانيه**."[٤٦]

***ج- المشاركة في التأليف في فنّ كتب توثيق الرواية:***

كتب في هذا الفنّ ثلّة من أعلام الرواية الجزائريين،[٤٧] أشهرهم:

١- الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس: له (برنامج) في ذيل كتابه (عنوان الدراية).

٢- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني: له (إجازة لمرتضى الزبيدي)

٣- عبد القادر بن المختار الخطابي المستغانمي: له فهرسة خرجها لشيخه بعنوان (الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب).

٤- أبو مهدي عيسى بن محمد بن محمد جار الله الجعفري الثعالبي المالكي الجزائري: له (منتخب الأسانيد في وصل المؤلفات والأجزاء والأسانيد، مقاليد الأسانيد، كنز الرواية)

٥- محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد أبو راس الراشدي المعسكري الجليلي: له (السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى – لب أفياخي في عدّة أشياخي).

٦- أحمد بن عمار الجزائري: له (ثبت- وإجازة).

٧- المقري؛ سعيد بن أحمد أبو عثمان: له (ثبت).

٨- الونشريسي أحمد بن يحي أبو العباس: له (فهرسة).

٩- عبد القادر المشرفي: له (ثبت).

١٠- علي بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي بن الأمين الجزائري: له (ثبت).

١١- عمر بن محمد الكماد أبو بكر الأنصاري القسنطيني الوزان: له (ثبت).

١٢- محمد البشير بن محمد طاهر البجائري التواتي: له (ثبت).

١٣- محمد بن محمد بن يحي أبو عبد الله الكومي الندرومي التلمساني: له (ثبت).

---

(٤٤) فهرس الكتاني: (٤٠١/١).

(٤٥)المرجع السابق: (٥٠٢/١).

(٤٦) المرجع السابق: (٨٠٧/٢).

(٤٧) ينظر مجموع أسامي هذه الكتب في فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف: (ص ١١٣- ١١٨).

١٤- محمد بن علي أبو عبد الله السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي: (ثبت)

١٥- أحمد بن سعيد أبو العباس العباسي: له (ثبت)

١٦- المختار بن خليفة الحدباوي الجزائري: له (ثبت)

١٧- محمد شقرون بن أحمد الوهراني: له (ثبت).

١٨-محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد العنابي: له (ثبت – إجازة لمحمد بيرم التونسي).

١٩- عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن الحسين أبو مروان الطبني: له (فهرست).

٢٠- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: له (الفهرسة - مختصر اللفهرسة).

٢١- عبد القادر بن محمد الراشدي: له (إجازة لمحمد مرتضى الزبيدي).

٢٢- محمد بن محمد بن أبي القاسم العربي القسنطيني الميلي: له (فهرسة).

٢٣-محمد بن عبد الرحمن التجيبي نزيل تلمسان: له (معجم- البرنامج الكبير- البرنامج الصغير- معجم شيخه الحافظ السلفي).

٢٤- محمد بن عبد الكريم بن محمد أبو عبد الله المغيلي التلمساني: له (فهرست).

٢٥- محمد بن عبد الله بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسي: (فهرسة).

٢٦- محمد بن قاسم بن عبد الله أبو عبد الله الأنصاري التلمساني الرصاع: له (فهرس) مشهور.

٢٧- محمد بن علي حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي أبو عبد الله القلعي: له (برنامج)

٢٨- ابن المفتي: له (تقييد)

٢٩-يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى ايو زكريا الشاوي: له (إجازة للمحبي [صاحب خلاصة الأثر]- إجازة لمحمد بن زين الدين الكفيري)

٣٠- أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي: له (فهرست)

***د- المشاركة النوعية في تقوية النّشاط العلمي الحديثي:***

ذكر الشيخ أبو اليسر فالح المهنوي في أول (أنجح المساعي) أن علم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة قد قويت شوكته وارتفع له أعلى منار، وذكر أنّ سبب ذلك بالديار الحجازية وجود مسانيد الحجاز السبعة؛ أولهم أبو مهدي الثعالبي، ويليه ابن سليمان الروداني ويليه قريش الطبرية ويليها أبو البقاء العجيمي ويليه الشمس محمد بن أحمد النخلي ويليه البصري.(٤٨)

***هـ- إعادة إحياء مدرسة الحديث الأشرفية بدمشق:*** وهذا يجرّنا إلى الحديث عن علم جزائري جمع بين العلم والإمارة والتصدر للرواية أيضا؛ وأقصد بذلك الأمير عبد القادر الجزائري، الذي كانت له الأيادي البيضاء في إحياء مدرسة حديثية عريقة؛ من مدارس العالم الإسلامي؛ وهي دار الحديث الأشرفية في دمشق، فبعد أن قدم الأمير إلى دمشق مستوطنا وجد نصرانيا قد غصب جزءا منها، وهيأه ليودع بها خموره، فاستدعاه الأمير، وابتاعها منه، ورمّمها

(٤٨) ينظر مقدمة (أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، أبو اليسر فالح المهنوي الظاهري: ص٩.

وأصلح أمرها، ثمّ سلّمها للشيخ يوسف بدر الدين المغربي، وأوقفها عليه وعلى عقبه سنة ١٢٧٢هـ، بسبب الجهود التي بذلها الشيخ بدر الدين في سبيل هذه الدّار، وقد افتتح الأمير عبد القادر التدريس فيها بالشروع في قراءة صحيح البخاري في أوّل يوم من رجب سنة ١٢٧٤هـ رواية، وكان يحضر درسه أكابر العلماء والنابهين من الطلبة، وقد ختمه في آخر يوم من رمضان، وشهد الختمة جماعة من العلماء، وأجاز كلّ من حضرها، فأنشد الشيخ يوسف بدر الدين في ذلك أبياتا منها:

بابُ القبُول لهذا الخَتْمِ قَد فُتِحَا *** فَلاَحَ مِنْ يُمْنِه بَدْرُ السُّعُودِ ضُحَى.(٤٩)

ثمّ قرأه ثانية في هذه المدرسة، وهذا سنده الذي أجاز به من حضر تلك الختمة المباركة؛ ذكره الشيخ محمد الطنطاوي -وهو أحد المجازين- فقال:" أروي صحيح البخاري سماعا من أوّله إلى آخره في شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائتين وألف، وذلك بمدرسة دار الأشرفية، عن سيدنا الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، وهو يرويه من عدّة طرق، قال: أخبرني والدي مصطفى، قال: أخبرني الشيخ محمد مرتضى الحسني الزبيدي ثم المصري، أخبرني شيخي المعمر أبو عبد الله بن سعد المدني، قال: أخبرني القطب محمد بن أحمد النهرواني، عن والده أحمد النهرواني.."(٥٠) وباقي السند كما في السلسلة الثالثة المذكورة آنفا، قال الأمير بعد سرده هذا السند:"وهذا أعلى سند يوجد الآن على وجه الأرض".

***و- التأليف النوعي في كتب فنّ توثيق الرواية:***

وأبدع ما بلغنا خبره في هذا الباب ما ذكره الكتاني في وصف نسخة كان يمتلكها من المجلد الأول من كتاب (**كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع**) لأبي مهدي الثعالبي. قال أبو الطيب الشرقي:"كنزه هذا من أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها، في مجلدين."(٥١)

وقال تلميذه أبو سالم العياشي يصف الكتاب:" هذا تأليف سلك فيه مسلكاً نفيساً، ورتبه ترتيباً غريباً جمع فيه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً، وهو إلى الآن لم يكمل، وإذا منّ الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء، والمسلك الذي سلك فيه أنه رتبه على أسماء شيوخه، يبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ وذكر مؤلفاته ومقروءاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر مقروءاته هو عليه، وما قرأ عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف، فيكتب شيئاً من أوله، ثم يعرّف بمؤلف ذلك الكتاب أبسط تعريف، مع ما يتبع ذلك من الفوائد والضبط، وكذلك يفعل في كل شيخ من شيوخه، وفي كل مؤلَّف قرأه عليه، أو شيئاً منه، فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأيمة المؤلفين وأسانيد مؤلفاتهم، وذلك مما يدل على اعتناء عظيم، وحفظ عظيم، ومطالعة واسعة. والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين وغبطة السامعين ورغبة الطالبين..."(٥٢)

---

(٤٩) ينظر: دار الحديث الأشرفية بدمشق(دراسة تاريخية توثيقية)، محمد مطيع الحافظ: (ص٢١٧-٢١٨)، دار الفكر / دمشق، ط١/ ١٤٢١-٢٠٠١.

(٥٠) دار الحديث الأشرفية بدمشق، د. محمد مطيع الحافظ، دار الفكر/ دمشق-سورية، ط١/ ٢٠٠١-١٤٢١، : ص٢١٨.، وعزا المؤلف هذا السند إلى وثيقة في كتاب (علماء دمشق وأعيانها: ٢/ ٨١٢).

(٥١) فهرس الكتاني: (٥٠٢/١).

(٥٢) ينظر المرجع السابق: (٥٠١/١).

وقد طلب المؤلف من تلميذه ورفيقه أبي سالم العياشي عمل خطبة للكتاب جعلها أوله، وقد أثبتها العيّاشي في رحلته (ماء الموائد).

قال الكتاني:" الجزء الذي عندي[٥٣] ترجم فيه لأبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الجزائري، وأبي الحسن الأجهوري، وأبي محمد عبد الكريم الفكون القسمطيني، والشمس محمد بن عبدالفتاح الطهطائي القاهري، والشيخ تاج الدين بن أحمد المالكي المكي، وأبي القاسم ابن جمال الدين القيرواني، وأبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، المعروف بقَدُّورَة، استغرق المجلد كله تراجم هؤلاء الشيوخ السبعة، وذلك أنه يذكر ترجمة الشيخ ومقروءاته عليه، فإذا ذكر كتاباً ذكر طالعته، وعرّف بصاحبه، وبعض فوائده وأشعاره، إلى ضبط غريب، وذكر وفاة، وتحرير نسب ونحوه؛ مما **صار به هذا الثبت حجة المتأخرين على المتقدمين**، وديوان خير علماء الأمة أجمعين، ولو كمل لخرج في مجلدات عشرة أو أكثر، لأن أبا مهدي كان كثير الأشياخ."[٥٤]

ويسهب المؤلف في الترجمة فيتوسع في تراجم من يذكرهم توسعا فائقا، حتى استغرقت ترجمة الأجهوري من هذا الكتاب سبعة كراريس.[٥٥]

وقال الكتاني في سياق وصفه صلة الخلف للروداني:"..ليس في فهارس أهل ذلك القرن الحادي عشر بالمشرق والمغرب ما يشابهها أو يقاربها عدا كنز أبي مهدي الثعالبي فإنه أجمع وأوسع..."[٥٦]

**ز– الريادة في التعريف بهذا الفنّ في المؤتمرات العالمية للمستشرقين:**

والأمر ينصرف رأسا إلى الجهود التي بذلها الشيخ العلامة ابن أبي شنب في التعريف بهذا الفنّ عند الغربيين، وكنت قد رصدت الدراسات التي تتبعَتْ فنّ الرواية عند المسلمين، فوجدت للمستشرقين في ذلك عناية فائقة، وقد تتبعْتُ الموضوع في الدراسات الاستشراقية فوجدت أنّ علامة الجزائر (**محمد بن أبي شنب**) كان قد قدّم دراستين باللّغة الفرنسية، نشرهما في أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين الذي أقيم بالجزائر العاصمة سنة ١٩٠٥م[٥٧]، وكان ذلك فاتحة الدراسات في هذا الصنف من الكتب، فكل من جاء بعده من

(٥٣) قال الكتاني:" ظفرت منه بالمجلد الأول، وهو عندي عليه خط مؤلفه بالمقابلة والتصحيح.." المرجع السابق: (٥٠٠/١).

(٥٤) المرجع السابق: (٥٠٠/١).

(٥٥) المرجع السابق: (٧٨٤/٢).

(٥٦) المرجع السابق: (٤٢٦/١)؛ ذكر ذلك في سياق ترجمته لمؤلفها.

(٥٧) ينظر؛ أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين:

actes du (XIVe)congres International des oriontalistes, tome (I,IV), Algiers 1905. (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, Nendeln/Liechtenstein, 1968).

ولم تترجم الدراستان لحد الساعة، وقد عقدت النية على القيام بذلك لحاجتي إلى ما فيهما في هذه البحث، ولكونهما باكورة الدراسات التي كتبت في هذا الفن، ولأجل تيسيرهما بين أيدي الباحثين باللغة العربية؛ فإنّ كثيرا منهم أشار إلى وجودهما بذكر العنوان دون الإفادة منهما بشيء.

المستشرقين نسج على منواله، أو أسّس على منهجه[٥٨]، لأنّه أدلى في هذا المؤتمر بأنموذجين؛ هما أهمّ مظهرين للدراسات المتعلّقة بهذا الصنف من الكتب، بيّن بأحدهما كيفية دراسة مثل هذه الكتب، ومثّل بالثاني لكيفية الاستفادة مما فيها في التأريخ لأمر معيّن؛ والدراستان هما:

أ- **دراسة عن الشخصيات المذكورة في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي**، نشرت في أعمال المؤتمر المذكور سنة ١٩٠٥م، ثمّ نشرت بعد ذلك سنة ١٩٠٧م، في كتاب مستقلّ من (٥٦٠ صفحة).[٥٩]

ب- **دراسة عن كيفية وصول صحيح البخاري لسكان مدينة الجزائر**، استنبطه من خلال استثمار بعض أسانيد أعلامها ومشايخها عبر القرون.[٦٠]

ولا أستبعد أنّ ذلك قد نبّه ثلة من المستشرقون لأهمية هذه الوثائق وعظيم خطرها؛ فانكبوا على تمحيصها والنظر فيها، والاستفادة منها بكل الطرق، وقد عالجوا ذلك بالدراسات المستقلّة، أو بتحقيق بعض المشيخات المهمّة وترجمتها ودراستها في آن واحد، أو بتسليط الضوء على جوانب تستفاد منها، خصوصا وأنّ أكثر المستشرقين ولعا بهذا الموضوع هو المستشرق الفرنسي (جورج فاجدا *Georges Vajda*)(١٩٠٨-١٩٨١)، الذي نشر فيه دراسات متعددة، فقد حقق ونشر - لوحده- مجموعة كبيرة من كتب هذا الفن مترجمة إلى الفرنسية، ومصحوبة بدراسات تحليلية لمحتوياتها، وقد جمعت له المستشرقة نيكول كوتار (Nicole COTTART) كتابا بعنوان (نقل المعرفة في الإسلام: من القرن ٠٧ إلى القرن ١٨م)[٦١]؛ جمعت فيه غالب ما له من بحوث منشورة متعلقة بموضوع نقل المعارف عند المسلمين، كما أعدّت تلميذته المستشرقة الفرنسية (جاكلين سوبلي Jacqueline SUBLET) قائمة بعناوين أكثر أعماله المنشورة.[٦٢]

---

(٥٨) اعتنى قبله المستشرق الإسباني فرانسشكة كوديرا زيدين وتلميذه خلين ربارة بنشر فهرسة ابن خير الشهيرة، غير أنّهما لم يصدرا الكتاب بأي كلام عن هذا الصنف من الكتب، بل اقتصرا على التعريف بالكتاب وبمؤلفه ونسخته المخطوطة، ثمّ نشر النصّ كما هو، فلم أعدّ ذلك في الدراسات السابقة. ينظر ترجمة مقدمة المحققين: من صفحة(هـ-ص)، أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي(٥٧٥-٥٠٢)، فهرسة ما رواه عن شيوخه ...، مكتبة الخانجي/ القاهرة. نقلا عن الأصل المطبوع بسرقسطة سنة ١٨٩٣م.

(٥٩) ينظر الكتاب في الجزء الرابع من أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة ١٩٠٥:

ben cheneb (Mohammed), Etude sur les personages mentionnes dans l'edjaza du cheikh abd el qadir el fasy,(Extrait du tome (IV)des actes du (XIVe)congres International des orientalistes) PARIS, ERNEST LEROUX, EDITEUR, 1907.

(٦٠) ينظر أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين:

ben cheneb (Mohammed), DE LA TRANSMISSION DU RECUIL DE BOKHARY AUX HABITANTS D'ALGER, (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, NendelnL Liechtenstein, 1968.)(pp99-115)

(٦١) ينظر Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam (VIIe-XVIIIe siecles) Edite par Nicole COTTART, Variorum reprints, London 1983

(٦٢) ينظر: أعمال جورج فاجدا: Jacqueline SUBLET , BIBLIOGRAPHIE DE GEORGES VAJDA(1908-1981), (Arabica, tome XXIX, 198? (Pp 315-329).

أرابيكا؛ مجلة الدراسات العربية، مجلد ٢٤، سنة (١٩٨٢م)، ص٣١٥-٣٢٩)، ولم تغفل في هذه القائمة إلا القليل من أعماله.

**الخاتمة :**

وأختم بعد ما ذكرت فأقول:

١- إنّ سنّة الرواية من مفاخر هذه الأمّة، وهي باقية فيها، ما بقي لها دينها.

٢- إنّ لفنّ الرواية أغراض علمية أخرى غير معرفة صحة أسانيد المتون المسندة، وهي مفيدة للأمة.

٣- قد كان للأمة الجزائرية حظها الأوفر من خدمة السنة المشرفة رواية ودراية خدمة نوعية.

٤- لا يحسن بنا الاستهانة بالتقاليد العلمية العريقة للأمة الإسلامية في نقل تراثها، والعمل على إحيائها بالشكل المقبول، وإفادة الأمة منها أولى من طرحها وإهمالها.

٥- إنّ نموذج العلامة أبي مهدي الثعالبي (وهو من المتأخرين) دليل على أنّ أمر الرواية لم ينته بعد، ولا استنفد أغراضه، بل هو قابع في انتظار من يقوم بحقه، من أهل كل زمان.

٦- وأختم بهذا السؤال فأقول: ما المانع عند المشتغلين بالعلوم الشرعية عموما، والمشغولين بالحديث النبوي وعلومه خصوصا من الجمع بين الدّراية والرّواية معا؟!

***المراجع:***


١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي . بيروت.

٢. الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، شاه ولي الله الدهلوي، تح: بدر بن علي بن طامي العتيبي، دار الآفاق، ط١/ ١٤٣٠-٢٠٠٩.

٣. المفاخر السنية في الأسانيد العلية القدسية، عبد الحميد بن محمد علي قدس الخطيب (١٢٧٨- ١٣٣٤هـ)، نسخة مخطوطة موجودة بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم ٩٢ سيرة وتاريخ: الورقة الأولى/ أ. وقد تمّ تحقيقها من قبل د. رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، ونشرت في أحد أعداد (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة).

٤. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ابن حجر العسقلاني، تح: د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت-لبنان، ط١/ ١٤١٣-١٩٩٢.

٥. الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي، تح: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢/ ١٤٢٨-٢٠٠٧.

٦. الترغي؛ عبدالله المرابط ، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية ق١٢هـ: منهجيتها – تطورها - قيمتها العلمية، (أطروحة دكتوراه) في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي/ تطوان- المغرب الأقصى؛ ط١/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧. فهرسة محمد بن الحسن الحجوي المسماة مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(ت١٣٧٦هـ)، تحقيق د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم/ بيروت ومركز التراث الثقافي المغربي/ الدار البيضاء، ط١/ ١٤٢٤-٢٠٠٣.

٨. أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، أبو اليسر فالح المهنوي الظاهري، دارا الشريف. (د.ت)

٩. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط١٤٠٦-١٩٨٦.

١٠. صلة الخلف بموصول السلف، محمد بن سليمان الروداني، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط١/١٤٠٨-١٩٨٨.

١١. معجم شيوخ الذهبي ص١٣-١٤، تح: روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١/ ١٤١٠-١٩٩٠.

١٢. بحث ابن شنب (حول توصيل صحيح البخاري إلى سكان مدينة الجزائر)، ضمن أعمال المستشرقين عام ١٩٠٥: ص١٠٥.

١٣. فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف، ط: دار ثالة الجزائر ٢٠٠٢م.

١٤. دار الحديث الأشرفية بدمشق(دراسة تاريخية توثيقية)، محمد مطيع الحافظ: دار الفكر / دمشق، ط١/ ١٤٢١-٢٠٠١.

١٥. أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي(٥٧٥-٥٠٢)، فهرسة ما رواه عن شيوخه ...، مكتبة الخانجي/ القاهرة. نقلا عن الأصل المطبوع بسرقسطة سنة ١٨٩٣م.

١٦. أرابيكا؛ مجلة الدراسات العربية، مجلد ٢٤، سنة (١٩٨٢م).

1. actes du (XIVe)congres International des oriontalistes, tome (I,IV), Algiers 1905. (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, Nendeln/Liechtenstein, 1968).
2. ben cheneb (Mohammed), Etude sur les personages mentionnes dans l'edjaza du cheikh abd el qadir el fasy,(Extrait du tome (IV)des actes du (XIVe)congres International des oriontalistes) PARIS, ERNEST LEROUX, EDITEUR, 1907.
3. ben cheneb (Mohammed), DE LA TRANSMISSION DU RECUIL DE BOKHARY AUX HABITANTS D'ALGER, (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, NendelnL Liechtenstein, 1968.)
4. Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam (VIIe-XVIIIe siecles) Edite par Nicole COTTART, Variorum reprints, London 1983
5. Jacqueline SUBLET , BIBLIOGRAPHIE DE GEORGES VAJDA(1908-1981), (Arabica, tome XXIX, 198?.